﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: 94]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبةُ بينَ مصيرِ المُفْتَرينَ ورجوعِهم إلى اللهِ بلا سندٍ ولا نصيرٍ

لمّا قال في الآية السَّابقة ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾، "وَقَفَهم على أنَّهم يَقْدَمون يوم القيامةِ منفردين، لاناصِرَ لهم، محتاجين إليه بعد أن كانوا ذَوِي خَوَلٍ وشُفعاءَ في الدُّنيا"[1]، يقالُ لهم في ذلك اليومِ العظيمِ: لقد جئتمُونا فُرادى كما خلقْناكم أوَّلَ مرَّةٍ، وكنْتُم تنكرون ذلك، ولا ترونَهُ يقينًا واقعًا لا ريبَ فيه، فهذا هو يومُ البعثِ الَّذي طالما كنتم به تكذِّبون، وقد تركتم في الدُّنيا، ما حُزْتُم من النِّعَمِ الأثيرةِ، وما جمعتُم من الأموالِ الغزيرة، وما بقي معكم أحدٌ من الشُّفعاء والأنداد الَّذين همْتُم بهم في كلِّ وادٍ، لقد تقطَّعت بينكم وبينهم الأسبابُ والصِّلاتُ، وتلاشتِ المزاعم وتبدَّدت العلاقات[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فُرَٰدَىٰ﴾: (فرد) أصلٌ يدلُّ على وحدة، والفَرْدُ: الذي لا يختلِط به غيره، فهو أعمُّ من الوِتْر وأخصُّ من الواحد، وجمعه: فُرَادَى، وفَرِيدٌ: واحدٌ، وجمعهُ فُرَادَى، نحو: أَسيرٍ وأُسارى، والفَرْدُ ما كانَ وحدَه، وجاء القومُ فُرادَى، أي: واحدًا واحدًا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾[3]، أي: "منفردين بلا مالٍ ولا معينٍ"[4].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/586، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 7/192.
(2) أسعد حومد، أيسر التّفاسير، ص: 884.
(3) الخليل، العين، والجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (فرد).
(4) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 1/522.

وقَالَ الفرَّاءُ: فُرادى جمعٌ، قَالَ: وَالعرب تَقول: قومٌ فُرادَى، وفَرادُ ياهَذَا فَلَا يُجْرونَها، شُبِّهتْ بثلاثَ وَرُباع، قَالَ: وفُرَادَى: وَاحِدهَا فَرَدٌ وفَريد وفَرِدٌ وفَرْدانُ، وَلَا يجوز فَرْد فِي هَذَا الْمَعْنى[1].

2) ﴿خَوَّلْنَٰكُمْ﴾: (خول) أَصْلٌ يدُلُّ عَلَى تَعَهُّدِ الشَّيْءِ، وإعطاء ما يحتاج أن يتعهَّده، الخائل: الحافظ للشَّيء، يقال: فلانٌ يخولُ على أهله، أي: يرعى عليهم، وخوَّله اللّه الشَّيءَ: ملَّكه إيَّاه، والتَخَوُّلُ: التَّعهُّدُ. قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾، أي: ما أعطيناكم[2]، "أي: ما تفضَّلنا بِهِ عليكم في الدُّنيا"[3]. وفي تاج العروس: "وخَوَّلَهُ اللّه تَعَالَى المالَ: أَعْطاه إيَّاه مُتَفَضِّلًا، وَمِنْه قولُه تَعَالَى: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ [الأنعام: 94]، أَي: أعطَيناكم، ومَلَّكْناكم، وَكَذَلِكَ قولُه تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ﴾ [الزّمر: 8]، وَقَالَ أَبُو النَّجْم:

الحمدُ للّهِ الوَهُوبِ المُجْزِلِ
أَعْطَى فَلم يَبخَلْ وَلم يُبَخَّلِ
كُومَ الذُّرَى مِن خَوَلِ المُخَوِلِ"[4].

3) ﴿زَعَمْتُمْ﴾: (زعم) أصلٌ يدلُّ على القَوْلِ مِنْ غَيْرِ صِحَّةٍ وَلَا يَقِينٍ، الزَّعْمُ: حكاية قول يكون مَظِنَّة للكذب، ولهذا جاء في القرآن في كلِّ مَوْضِعٍ ذَمَّ القائلين به، كقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾ [التّغابن: 7]، أي: بقولهم الكذب، والزَّعم: الظَّنُّ، والكذب، ويقال للأمر الَّذي لا يُوثَق به: مَزْعَمٌ، أي: يَزْعُمُ هذا أنَّه كذا، ويَزْعُمُ هذا أنَّه كذا[5].

4) ﴿تَقَطَّعَ﴾: (قطع) أصلٌ يدلُّ على صَرْمٍ وإبانةِ شيءٍ من شيءٍ، ومُنْقَطَعُ الرّمل: يَنْقَطِعُ ولا رملَ خلفه، فعبَّروا به عن الانتهاء، فإذا انتهى الشَّيء؛ فكأنَّهُ قُطع. وقَطْعُ الوَصْل: هو الهِجْران، وقَطْعُ الرَّحِم يكون بالهِجْران، ومنع البِرِّ، قال تعالى: ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمّد: 22]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: 168]، أَي:

(1) الأزهريّ: تهذيب اللّغة: (فرد).
(2) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (خول).
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/587.
(4) الزَّبيديّ، تاج العروس: (خول).
(5) الجوهري، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، اللّسان: (زعم).

فرَّقْناهم فِرَقًا، وَقَالَ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: 166]، أَي: انْقَطَعَتْ أَسْبابُهم ووُصُلُهُم[1].

5) ﴿بَيْنَكُمْ﴾: (بين): أصلٌ يدلُّ على بُعْدِ الشَّيء وانكشافِه، فالبَيْنُ: الفِراقُ، والوَصْلُ، وهو من الأضدادِ، و(بَيْن) موضوعٌ للخِلالةِ بينَ الشَّيئين، يقالُ: بَانَ كذا، أي: انفصلَ، وظهرَ ما كان مستَتِرًا منه، ولمّا اعْتُبِرَ فيهِ معنى الانفصالِ والظُّهورِ؛ استُعْمِلَ في كلِّ واحدٍ منفردًا، وقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾، أي: وَصْلُكم، وتحقيقُه: أنَّه ضاعَ عنكم الأموالُ والعشيرةُ والأعمالُ الَّتي كنتم تعتمدونها[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تذكيرُ المُخاطَبينَ بالرَّجعةِ إلى اللهِ فُرادى، بلا مالٍ ولا عُزوةٍ

يخبرُ اللهُ تعالى أنَّه سيقولُ لهم يوم البعث "ولقد أتيتُمونا في هذا اليوم أفرادًا، لا مالَ معكم ولا رئاسة، كما أنشأناكم أوَّلَ مرَّةٍ حُفاةً عراةً غُرْلًا، وتركتم ما أعطيناكم من ذلك خلفَكم في الدُّنيا رغمًا عنكم، وما نرى اليومَ معكم آلهتكم الَّذين زعمْتُم أنَّهم وسطاءُ لكم، وزعمْتُم أنَّهم شركاء للّه في استحقاق العبادة، لقد تقطَّع الوِصَال بينكم، وذهب عنكم ما كنتم تزعمون من شفاعتهم، وأنَّهم شركاءُ للّهِ"[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ العطفِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾:

الانتقالُ من خطابِ الاعتبارِ بالظَّالمين إلى خطابِ الظَّالمين أنفسِهم

قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ معطوفٌ على قولِه تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾، بمعنى: أنَّه "انتقل الكلامُ من خطاب المعتبِرينَ بحال الظَّالمين إلى خطابِ الظَّالمين أنفسهم، بوعيدهم بما سيقولُ لهم يومئذٍ"[4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، اللّسان: (قطع).
(2) الجوهري، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (بين).
(3) جماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم: 1/139.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتنّوير: 7/381.

معنى اللَّامِ و(قد) وفائدتهُما في السِّياق في قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾:

ورود (قَـدْ) مـرشَّـحَـةٌ لـلاسـتـعـارةِ؛ لأنَّـهـا مناسبةٌ للفعلِ الماضي

في قولهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾، أكَّد المجيءَ باللَّام و(قد)، ودلالةُ ذلك تختلفُ باعتبار جهة صدورِ الكلامِ، وفي ذلك قالَ العلَّامة ابن عاشور ما خلاصتُه: إنْ كان القولُ المقدَّر في جملة ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾، قولًا من قِبل الله تعالى؛ كان قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ حقيقةً في الماضي؛ لأنَّهم حينما يُقالُ لهم هذا القول قد حصلَ منهم المجيءُ بينَ يدي اللهِ تعالى، وتكون (قد) مفيدةً للتَّحقيقِ. وإن كان القول المقدَّر في جملة ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ قولَ الملائكة حال الوفاة؛ كانَ قولُه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾، من الماضي المعبَّر به عن المستقبلِ؛ تنبيهًا على تحقيق وقوعه[1]، وتكونُ (قد) ترشيحًا للاستعارةِ[2]. قال السَّيِّد الجرجانيُّ: "واعلم أنَّ التَّعبير عن الماضي بالمضارعِ وعكسه، يعدُّ من الاستعارة، بأن يشبِّهَ غيرَ الحاصل بالحاصل، في تحقُّق الوقوع"[3]، فتكون (قد) مرشَّحةً للاستعارةِ؛ لأنَّها مناسبةٌ للفعل الماضي.

السِّرُّ في التَّعبيرِ عنِ المستقبلِ بالفعلِ الماضي المؤكَّدِ:

التَّـعـبـيرُ عـن أحـداثِ يـومَ القيامةِ بالفعلِ الماضي دلالةً على يقينِ الوقوعِ

المجيءُ المخبَرُ عنهُ في الآية بالفعلِ الماضي، سيقعُ في المستقبلِ، فقولُه تعالى: ﴿جِئْتُمُونَا﴾ "من الماضي الَّذي أُريدَ بهِ الْمُسْتَقْبَلُ"[4]، وإنَّما يُعبَّر بالماضي عن المستقبلِ "تنبيهًا على تحقيقِ وقوعِهِ"[5]، فَيُخبرُ عنهُ بأنَّهُ قد حدثَ ووقعَ، وصارَ ماضيًا محَقَّقًا، وفي ذلك تأكيدٌ على الوقوع، إضافةً للتَّأكيد المدلول عليه بـ (اللَّام، وقد).

(1) القزوينيّ، الإيضاح، ص: 96.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 7/381، وينظر: السّمين، الدّر المصون: 5/44.
(3) الجرجانيّ، حاشية على المطوّل، ص: 370.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/587.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/381.

دلالةُ إيثارِ التَّعبيرِ بضميرِ الجمعِ في قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾:

التَّعبيرُ بضميرِ التَّعظيمِ تهويلٌ لشأنِ المجيءِ إليهِ تعالى

قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ عبَّر عن ذاتِهِ ﷻ بالضَّمير الدَّالِّ على التَّعظيمِ تفخيمًا للمجيءِ، أي: جئتُم إلينا "لما لنا من العظمة"[1]، "ولقد جئتمُونا وُحْدانًا منفرِدين عن الأنداد والأوثان، والأهلِ والإخوانِ، مجَرَّدين من الخدمِ والأملاكِ والأموالِ، كما خلقْناكم أوَّلَ مرَّةٍ من بطونِ أمَّهاتكم حُفاةً عُراةً غُلْفًا، ولا منافاةَ بين هذه الآيةِ، وبينَ قوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [البقرة: 174] لأنَّ المراد لا يكلِّمهم تكليمَ تكريمٍ ورضا"[2].

سرُّ تعدِّي (جئتم) إلى المفعولِ بهِ بنفسِه، والعدولِ عن (جئتُم إلينا):

الملمحُ المرادُ في السِّياقِ: المباشَرةُ في الخطابِ بلا فاصلٍ

الفعلُ (جاء) فعلٌ لازمٌ، وقد جاء متعدِّيًا في آياتٍ من الذِّكر الحكيم، كقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى﴾، وقوله: ﴿جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ وغيرها، ويلاحظُ في تلك السِّياقات أنَّ المرتادَ هو سرعةُ المجيءِ، وانتفاء الفاصل، فلم يتعدَّ الفعلُ بالحرفِ (إلى) الدَّالِّ على انتهاءِ الغاية؛ لأنَّ ذلك يُشعِر بطولِ الفاصل، وأنَّه بحيثُ ينتقل من بدايةٍ إلى نهايةٍ، وحذفُ هذا الحرفِ يسلبُ العبارَةَ ذلك الفاصلَ، فيدلُّ على المباشرة، وسرعةِ النَّفاذِ بلا فاصلٍ.

العدولُ عن لفظِ (وحدَكم)، إلى ﴿فُرَادَىٰ﴾:

التَّعبيرُ عن مجيئِهم منفردين بلا شفيعٍ، تقريعٌ لهم وتوبيخٌ

يومُ القيامة هو يومُ الجَمْع، يُجمع فيه النَّاسُ لربِّ العالمين، والإخبارُ عن مجيئهم منفردين في الآية، لا يناقضُ ذلك؛ فإنَّما جمع للدَّلالة على أنَّهم جاؤوا متفرِّقين منفردين، فقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ أي: منفردين "عن أموالكم وأولادكم وما حرصتم عليه، وآثرتُمُوه من دنياكم، وعن أوثانكم الَّتي زعمتم أنَّها

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/192.
(2) أحمد مصطفى المراغيّ، تفسير المراغيّ: 7/194.

شفعاؤكم"[1]، ليس أحد مع أحدٍ، فكلُّ واحدٍ منهم يجيء منفردًا عمَّا كان له في الدُّنيا[2].

وفائدةُ الإخبار عن مجيئهم منفردين "التَّقريعُ والتَّوبيخ؛ وذلك لأنَّهم صرفوا جِدَّهُم وجهدَهم في الدُّنيا إلى تحصيل أمرين: **أحدُهما**: تحصيلُ المالِ والجاهِ، **والثَّاني**: أنَّهم عبدوا الأصنامَ، لاعتقادهم أنَّها تكون شفعاءَ لهم عندَ اللّه، ثمَّ إنَّهم لمّا وردوا مَحْفِلَ القيامةِ، لم يبقَ معهم شيءٌ من تلكَ الأموالِ، ولم يجدوا من تلكَ الأصنامِ شفاعةً لهم عند اللّهِ تعالى، فبقوا فرادى عن كلِّ ما حصَّلوه في الدُّنيا وعَوَّلوا عليهِ"[3].

نُكتةُ التَّعبيرِ بضميرِ الجمعِ معَ إفرادِ لفظةِ ﴿فُرَادَىٰ﴾:

ذكر تعالى نفسَهُ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ بطريقةِ التَّعظيم، فمجيءُ العباد للحساب، سيكون مجيئًا للإلهِ بما له من صفاتِ التَّعظيم، وعبَّرَ عن مجيئِهم بأنَّهم سيأتونُ فرادى، لما فيه من دلالةٍ على ضعفهم، وقلَّةِ حيلتهم، وكلُّ ذلك دالٌّ على عظمةِ الموقف، تصويرًا لحالة التَّباين بين شدَّة العظمةِ للحاكم الَّذي يُقْبَل إليه للقضاء، وشدَّةِ الضَّعف في المُقْبِل على الحسابِ، وفي ذلك إشعارٌ وإعلامٌ بهولِ الموقف.

تصويرُ حالةِ التَّبايُنِ بينَ من يُقْبَلُ إليهِ للقضاءِ، ومن يُقْبِلُ على الحسابِ

الغرضُ من إخبارِهم بالمجيءِ يومَ القيامةِ في قولِهِ: ﴿جِئْتُمُونَا﴾:

أخبرَ اللّهُ تعالى عن مجيئِهم، والمرادُ من ذلك بيانُ "تخطِئَتِهم وتوقيفهم على صدقِ ما كانوا يُنذَرون به، على لسانِ الرَّسولِ، فينكرونهُ وهو الرُّجوعُ إلى الحياةِ بعد الموت للحساب بين يدي اللّهِ. وقد يُقصدُ مع هذا المعنى، معنى الحصولِ في المَكِنَةِ والمصيرِ إلى ما كانوا يحسبونَ أنَّهم لا يصيرونَ إليه"[4].

إظهارُ تخطئَتِهم لتكذيبهم الأنبياءَ في إخبارِهم عنِ البعثِ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/47، وينظر: أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2595.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/192.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/69.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/382.

بلاغةُ التَّشبيهِ في قولِهِ: ﴿جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾:

المشابهةُ بينَ مجيئِهم فرادى، وولادتِهم فرادى

قولُه جلَّ شأنُه: ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، شبَّه مجيئَهم يومَ القيامةِ منفردينَ بانفرادِ مجيئِهم إلى الدُّنيا، أي: تَجيؤونَ إلينا "على الهيئةِ الَّتي وُلِدْتُم عليها في الانفرادِ"[1]، لا تملكون منها شيئًا، أي: "كمجيئِكم يومَ خلقناكم، وهو شبيهٌ بالانفرادِ الأوَّل وقتَ الخِلْقَةِ، فهو تقييدٌ لحالةِ الانفرادِ، وتشبيهٌ بحالة الخَلْقِ؛ لأنَّ الإنسانَ يُخلَقُ أَقْشَرَ لا مالَ له ولا ولدَ ولا حَشَمَ"[2].

سرُّ العدولِ عن المصدرِ الصَّريحِ إلى المؤوَّلِ في قوله: ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾:

التَّعبيرُ بلفظِ (ما) المصدريَّة للدَّلالةِ على كيفيَّة المجيء

لمّا شبَّه تعالى مجيئَهم يومَ القيامةِ بأوَّلِ مجيئِهم إلى الدُّنيا أدخلَ كافَ التَّشبيه على المصدر المؤوَّلِ من (ما) المصدريَّة والفعل، "فهو في موضع المفعول المطلَقِ، و(ما) المجرورةُ بالكاف: مصدريَّةٌ، فالتَّقدير: كخَلْقِنا إيَّاكم، أي: جئتُمونا مُعادين مخلوقين كما خلقناكم أوَّل مرَّةٍ"[3]، فجاء بـ (ما) المصدريَّة لبيان نوعِ المجيءِ؛ إذ إنَّها في تقدير المفعولِ المطلَق المبيِّن للنَّوع المناسب للتَّشبيه.

بلاغةُ العطفِ في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾:

ورودُ الجملتينِ متَّصلتين بالعطفِ لبيانِ معنى الانفرادِ في المجيء وكيفيَّتِه

قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ لبيان "معنى فرادى، إلَّا أنَّ في الجملة الثَّانية زيادةَ بيانٍ لمعنى الانفراد بذكر كيفيَّة هذا الانفراد"[4]، فلمَّا أخبر تعالى أنَّهم سيأتون منفردين؛ بَيَّنَ أنَّ الانفرادَ سيكون بتركِ ما كان لكم في الدُّنيا، أي: يأتون خِلْوًا من كلِّ شيءٍ.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/47، وينظر: الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/168.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/587، وينظر: أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/164.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/382.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/383.

نكتةُ التَّعبيرِ عن فقدانِ الأملاكِ بالموتِ بقوله: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ﴾:

توريثُ المحيَّزاتِ والأموالِ دليلٌ على أنَّ لله تعالى المآلَ

قولُه جلَّ شأنه: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾، الموت لا يدلُّ على التَّرك طوعًا، ولكنَّه يُظهِرُ عجزَ الإنسانِ، فيتركُ كلَّ ما له مُرغمًا، وتسليمًا بواقع الحال، فأخبرَ عن انتفاءِ حيلتِهم في الدُّنيا إعلامًا بانتفائها عنهم في الآخرة، والمعنى: أنَّكم ستأتون فُرادى لا تملكونَ شيئًا، ولا حيلةَ لكم، إظهارًا لشدَّةِ ضعفهم وتفجيعًا لهم.

إيثارُ التَّعبيرِ بالتَّرْكِ دونَ النَّبْذِ والهجرِ والتَّخَلِّي في قوله: ﴿وَتَرَكْتُم﴾:

من حازَ النِّعَمَ ولم يَشكرْ؛ فارقَها بالموتِ ولم يشعرْ

عبَّر بالتَّرك دونَ النَّبْذِ والتَّخَلِّي؛ لأنَّ الإنسان لا ينبذُ مالَه وتَركَتَه، ولا يتخلَّى عنها؛ إذ هم قد ذهبت "عنهم كلُّ قوَّاتهم الذَّاتيَّةِ الَّتي غرَّتهم، واستكبروا بها عن آيات الله تعالى"[1]، فلا قوَّةَ لهم على النَّبذِ ولا غيره، بل هم مجبورونَ على التَّرْك، و"التَّخْوِيلُ إِعْطَاءُ الْخَوَلِ كَالْعَبِيدِ وَالنَّعَمِ، وَيُعَبَّرُ بِالتَّرْكِ وَرَاءَ الظَّهْرِ، عَمَّا فَاتَ الْإِنْسَانَ التَّصَرُّفُ فِيهِ وَالِانْتِفَاعُ بِهِ، لِفَقْدِهِ إِيَّاهُ أَوْ بُعْدِهِ عَنْهُ"[2].

سرُّ إسنادِ التَّرْكِ إليهم، والعدولِ عن نزعِ ما خَوَّلهم عنهُم:

تنتهي حيازةُ الممتلكاتِ بالرَّدى، ولا يأخذُ الهالِكُ شيئًا ممَّا خفي أو بدا

في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾، عبَّر عن مفارقتِهم ما كانوا قد خُوِّلوا به بالتَّرْكِ، والتَّرْكُ: هو مفارقة الشَّيء ما كان يعلقُ به، والأصلُ: أنَّ الميتَ لا قدرةَ له على أن يفارقَ بنفسه، وإنَّما هو مفارَق ومتروك، فيفارقُه مالُه، وما ملَّكه اللهُ إيَّاه، فأَسْنَدَ التَّركَ لهم؛ للدَّلالة على تجرُّدِهم من كلِّ شيءٍ، وتركهم كلَّ شيءٍ، وإن كان في مُكْنَتِهم أن يأخذوه، فكيف إذا لم يكن لهم ذلك؟

بلاغةُ الكِنايةِ في قوله: ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ كنايةٌ، فكنَّى عن فقدانهم ما قدَّموه لأنفسهم بالتَّرك؛ "لأنَّ التَّرك وراء

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2596.

(2) محمّد رشيد رضا، تفسير المنار: 7/523.

الظَّهر كنايةٌ عن عدمِ الانتفاعِ بالشَّيء"[1]، أي: إنَّ ما أنعمنا عليكم به في الدُّنيا "لم ينفعكم، ولم تحتملوا منه نَقيرًا، ولا قدَّمتمُوه لأنفسِكم"[2]، وفي ذلك بيانٌ لشدَّة الانقطاعِ والانفصال؛ فإنَّ ما وراءَ الظَّهر قد مضى بحيثُ لا يُرى. ويدلُّ كذلك على انتفاءِ القدرةِ على الانتفاع به؛ إذ لا يمكنُ لما يُترك وراء الظَّهرِ، أن تنالَه اليدانِ للتَّصرُّف والانتفاع به.

تـركُ الـشَّيءِ وراءَ الـظَّـهـرِ؛ كِنايةٌ عن عدمِ الانتفاعِ به

بلاغةُ العطفِ في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾:

الجملةُ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾ معطوفةٌ على قوله تعالى: ﴿جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾، وإنَّما عطفَ ولم يَفْصِلْ بينهما؛ لأنَّهما خبران لغرضٍ واحدٍ، وهو بيانُ تخطئةِ المشركين وتلهيفًا لهم وتنديمًا، فالمشركون زعموا أنَّ آلهتَهم تشفعُ لهم عندَ الله تعالى. كما أنَّ فيه بيانًا وتقريرًا لمعنى (فرادى) في قوله: ﴿جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾[3].

ربـطُ الجملتَينِ المتعاطفتَينِ إيـذانٌ بمزيدِ تخطئتِهم واستدعاءٌ لندمِهم

بلاغةُ نفيِ رؤيةِ شركائِهم في قوله: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾:

نفى رؤيةَ شفعائِهم يوم الحساب، حيثُ كانوا يظنُّون لقاءَهم "تهكُّمًا بهم واستهزاءً بشأنهم"[4]، إذ إنَّ فقدانَ ما كنتَ تَذْخَرُهُ لساعةِ الحاجةِ فلا تَجِدُه حين أوانِ الحاجةِ له؛ لَهُوَ أشدُّ فقدانٍ وأكبرُ خُسرانٍ، وهذا النَّفي كأنَّه يتضمَّن سؤالًا، فكأنَّ المعنى: ما نَرى معكم شفعاءَكم، أين هم؟ أخبِرونا! تهكُّمًا بهم، وإجْبارَهُم على استشعارِ فداحةِ خُسرانِهم، ولا يتركُهم يتغافلون عن ذلك.

السِّياقُ مُمعِنٌ في التَّهكُّم بهم، والاستِهزاءِ منهم في هذه الآيةِ

إيثارُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ في قوله: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾:

عبَّر عن الرُّؤية بالفعل المضارع "ليشيرَ إلى أنَّ انتفاءَ رؤيةِ الشُّفعاء حاصلٌ إلى الآن، ففيه إيهامٌ أنَّ رؤيتَهم مُحْتَمِلَةُ الحصول

دلالـة الفعل المضارع على استمرارِ التَّهكُّم وتَجَدُّدِهِ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 8/488.
(2) الزّمخشري، الكشاف: 2/47.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/383.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/193، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/587.

بعدُ في المستقبل، وذلك زِيادَةً في التَّهكُّم"[1]، أي: ما نرى حتَّى الآن أولئك الشُّفعاءَ المزعومين، وما زلنا لا نرى، ولو عبَّرَ بالفعلِ الماضي، كأن يقولَ: (وما رأينا معكم شفعاءكم)، لدلَّ على التَّهكُّم مرَّةً واحدةً، ولكن التَّعبيرَ بالمضارع دلَّ على استمرارِ التَّهكُّم وتجدُّدِه.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالمعيَّةِ في قوله: ﴿مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾:

الاحتراسُ في كونِ المنفيِّ هو رؤيةُ مصاحبةِ الشُّفعاء لهم، لا مطلقَ الرُّؤيةِ

جاءَ التَّعبيرُ بـ ﴿مَعَكُمْ﴾ احتراسًا من توهُّم نفيِ الرُّؤية عنه تعالى؛ إذ لو قال: (ما نرى شفعاءَكم)، لدلَّ على انتفاء رؤيتِه لهم على الإطلاقِ، وهذا لا يصحُّ؛ لأنَّه ﷻ يراهم، ويعلمُ ما تُكِنُّ صدورُهم، فأَخْبَر بالمعيَّة نفيًا لمصاحبةِ الشُّفعاء لهم.

سرُّ تقديمِ الظَّرف على المفعولِ بِهِ:

التَّهكُّمُ واقعٌ بانتفاءِ المصاحبةِ، وهذا أبلغُ في التَّهكُّم بهم

في قوله: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾ قدَّم الظَّرف على المفعولِ بِهِ؛ لأنَّ المرادَ هو التَّهكُّمُ بانتفاء المصاحبةِ، وهو انتفاءُ وجود الشُّفعاء معهم، وليس المرادُ نفيَ رؤية الشُّفعاء، وهذا أدلُّ على شدَّةِ التَّهكُّم، وسوف "يقال لهم بعد قبضِ أرواحِهم يومَ القيامة: ولقد أتيتمُونا منفردينَ عن الأندادِ والشُّركاءِ والشُّفعاءِ وانعدام النُّصراء، كالانفراد الأوَّلِ في وقت الخِلْقةِ عند ولادتكم من بطونِ أمَّهاتِكم"[2].

نُكتةُ إضافةِ الشُّفعاءِ إلى ضميرِ المخاطَبينَ في قوله: ﴿شُفَعَآءَكُمُ﴾:

الدَّلالةُ على شُفعاءَ معيَّنينَ، وهم آلهتُهم المعهودةُ

أضافَ الشُّفعاءَ إلى ضميرِ المشركين المخاطبين، "لأنَّه أُريدَ شُفعاءُ معهودون، وهم الآلهةُ الَّتي عبدوها، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾"[3]، وفيه بيانٌ على أنَّ كونهم شفعاءَ ليس حقيقةً، ولكنَّه بظنِّهم وزعمِهم هم وحسب؛ لذلك اختصُّوا بهم بالإضافة.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/384.
(2) وهبة الزّحيلّي، التّفسير المنير: 1/583.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/384.

سرُّ العدولِ عن لفظِ (آلهتكم) إلى: ﴿شُفَعَآءَكُمُ﴾:

يـومُ القيامةِ لا يغني الشُّفعاء، ولا يـنـفـعُ الوسطاء

في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾، عدلَ عن الآلهةِ إلى الشُّفعاء، لإظهار الصِّفة الَّتي من أجلها عبدوهم، فهم إنَّما عبدوهم لِما ظنُّوا أنَّهم سيشفعونَ لهم، والظَّاهرُ أنَّهم طَمِعوا في آلهتِهم المعبودةِ، لتقومَ بالشَّفاعةِ لهم في يومٍ يكونون فيه أحوجَ مايكونون للشَّفاعة، فإذا بهم يفاجَؤون بأنَّ شُفعاءَهم غائبون في ذلك المشهدِ المزلزلِ، وحينها يقالُ لهم على سبيلِ التَّهكُّم والتَّنبيهِ إلى فسادِ اعتقادِهم في شُفعاءَ لا يملكون لأنفسِهم نفعًا ولا ضرًّا: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾!

نُكتةُ وصفِ الآلهةِ باسمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ المخصَّصِ للعقلاءِ:

يـومُ الحسابِ لا يـأذنُ اللهُ بالشَّفاعة إلَّا لمن ارتضاهُ

اسمُ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ "وصْفٌ للشُّفعاءِ، وهم حجارةٌ، وكان الموصول بعبارة ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الَّتي تكون للعقلاء إجراءً على لفظ الشُّفعاء لَا على حقيقتهم"[1]، تنزيلًا لهم منزلةَ الشُّفعاءِ العقلاءِ لظنِّ المشركين بهم ذلك، و"هو تنبيهٌ لهؤلاءِ الغافلين، وإلفاتٌ لهم أن يخرجوا من هذا الوُجومِ الَّذي هم فيه، ومن تلك السَّكْرةِ المستوليةِ عليهم، حتَّى يديروا أنظارَهم إلى ما حولهم، ليبحثوا عن معبوداتِهم الَّتي كانوا على ولاءٍ لها، واطمئنانٍ بها .. يفزعون إليها في كلِّ شدَّة، ويُهْرَعون إليها عند كلِّ مُلِمَّةٍ، وهذهِ هي مُلِمَّةُ الملمَّاتِ، وشدَّة الشَّدائد .. فأين هؤلاءِ الشُّفعاءُ؟ وأين ما كان يُرجى منهم عند كلِّ بلاءٍ؟ .. فليدعوهم .. فَلْيَجيؤوا لهم.. إن كانوا صَادقين! إنَّه لا شيءَ هنا، إلَّا الوحشةُ المطبِقةُ، والحسرةُ القاتلةُ، والخسرانُ المبيُن..!"[2].

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2596.
(2) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 4/242.

إيثارُ التَّعبيرِ بالزَّعمِ دون القولِ في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَآؤُا۟﴾:

عبَّر بالزَّعم دونَ (القول) وغيرِهِ للدَّلالةِ على سوءِ اعتقادِهم؛ إذ "الزَّعم: القولُ الباطلُ، سواءٌ كان عن تعمُّدٍ للباطل، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النِّساء: 60]، أم كان عن سوءِ اعتقادٍ، كما هنا"[1]، "فإنَّ المشركينَ يُشركونَ باللهِ، ويعبدونَ معه الملائكةَ، والأنبياءَ والصَّالحينَ وغيرهم، وهم كلُّهم للّه، ولكنَّهم يجعلون لهذه المخلوقاتِ نَصيبًا من أنفسهم، وشِرْكَةً في عبادتهم، وهذا زعمٌ منهم وظلمٌ، فإنَّ الجميعَ عبيدُ للّه، واللّه مالكهم، والمستحقُّ لعبادتهم، فَشِرْكُهم في العبادةِ، وصرفُها لبعض العبيد، تنزيلٌ لهم منزلةَ الخالق المالك، فيُوبَّخون يومَ القيامة، ويُقال لهم هذه المقالةُ"[2].

أيُّ اعتقادٍ لا يُبنى على يقينٍ؛ فهوَ زعمٌ باطلٌ بلا ريبَ

الغرضُ من جملةِ الصِّلةِ: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَآؤُا۟﴾:

وصفَ الشُّركاءَ بالموصولِ في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَآؤُا۟﴾، لبيان بطلانِ كونِهم شركاءَ؛ إذ لو قال: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾، بلا الاسمِ بالموصولِ المضمَّنِ الصِّلةَ الدَّالَّةَ على اعتقادهم الباطلِ؛ لاحتملَ ذلك أن يكونَ إقرارًا بكونهم شركاءَ، فكان التَّصريحُ بأنَّ ذلك مجرَّدُ زعمٍ، تبيينًا لبطلانه.

كلُّ زعمٍ يُدَّعَى فيه ما ليس بحقٍّ، فهو باطلٌ لا محالة

عِلَّةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ في قوله: ﴿زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَآؤُا۟﴾:

في قولهِ جلَّ شأنُه: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَآؤُا۟﴾ قدَّمَ الجارَّ والمجرورَ ﴿فِيكُمْ﴾ على متعلَّقِه ﴿شُرَكَآؤُا۟﴾ "للاهتمامِ الَّذي وَجْهُه التَّعجيب من هذا المزعوم؛ إذ جعلوا الأصنامَ شركاءَ للّه في

شـدَّةُ إيمانِهم بأوثانِهم تُفضي إلى الإيغالِ في شدَّةِ عُبوديَّتِهم لها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/384.

(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 264.

أنفسهم"[1]، وفي ذلك مبالغةٌ في شدَّةِ شِركهم، إذ يرونَ أنَّ للأوثان نصيبًا في ذواتهم، إيغالًا في شدَّة عبوديَّتِهم، ويدلُّ على أنَّهم كانوا يؤمنون بأوثانهِم غايةَ الإيمانِ؛ إذ بالغوا في عبادتهِم والاعتقاد بهم حتَّى جعلوهم شركاءَ في أنفسِهم.

الغرضُ منَ الاستئنافِ في قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾:

قولُهُ جلَّ شأنُه: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، استئنافٌ بيانيٌّ للجملةِ في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾؛ "لأنَّ المشركين حين يسمعونَ قولَه: ما نرى معكم شفعاءَكم، يعتادُهم الطَّمعُ في لقاءِ شفعائهم، فيتشوَّفون لأن يعلموا سبيلَهم، فقيلَ لهم: لقد تَقَطَّع بينَكم؛ تأييسًا لهم بعدَ الإطماعِ التَّهكُّميِّ"[2].

استأنفَ تَأييسًا لهم، بعد أن أزخى لهم الطَّمعَ بلقاءِ شُركائِهم

دلالةُ تأكيدِ الخبرِ في قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾:

عبَّرَ بصيغةِ التَّفعيلِ للدَّلالةِ على التَّكثيرِ، فقولُه تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ﴾، "أي: تقطُّعًا كثيرًا"[3]، والمرادُ من ذلك المبالغةُ في شدَّة الانقطاع، وفيه مزيدٌ من التَّهكُّم.

التَّعبيرُ بالتَّكثيرِ والمبالغةِ، قد يكونُ دلالةً على الاستهزاءِ

بلاغةُ استعارةِ لفظِ التَّقطيعِ للبُعدِ في قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾:

قوله جلَّ شأنُه: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾، استعار التَّقطيعَ الدَّالَّ على الانفصالِ، للدَّلالةِ على البعد بين المشركينِ وآلهتهم؛ إذ قد "شاع في كلامِ العرب ذكرُ التَّقطُّع مستعارًا للبُعد وبطلانِ الاتِّصال، تبعًا لاستعارةِ الحبلِ للاتِّصالِ"[4]، فكما دلَّ الحبلُ على الوصلِ، استعاروا من قَطْعِ الحبلِ دلالةً على انقطاع الوصلِ، ويكونُ المعنى لقد تقطَّعتِ المسافةُ بينهم مع بُعدِها وطولِها[5]، وفي ذلك ترويعٌ لهم بانقطاعِ ما كانوا يتأمَّلون.

في الآخرةِ يحصلُ البُعدُ والانقطاعُ عنِ الآلهةِ المزعومةِ الباطلةِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/384.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/385.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/193.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/385.
(5) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/324 - 325.

بلاغةُ الإيجازِ بحذفِ الفاعلِ في قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾:

الحذفُ للإبهامِ والتَّهويلِ، يشملُ كلَّ متقطِّعٍ بينَهم كالوصلِ والشَّفاعةِ

لم يذكرِ الفاعلَ وتركه مبهمًا، لما في الإبهام من التَّهويل، واهتمامًا بالتَّقطيع وتوسيعًا له ليشملَ كلَّ ما يمكن أن يتقطَّع بينهم، كالوصلِ والشَّفاعة وغيره، ممَّا ينفعهم، فالمقصودُ "حصولُ التَّقطُّع، ففاعله اسمٌ مبهمٌ، ممَّا يصلحُ للتَّقطُّع، وهو الاتِّصالُ، فيقدَّر: (لقد تقطَّع الحبلُ أو نحوه)"[1].

توجيهُ قراءةِ الرَّفع في (بينُكم) في قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾:

القراءةُ القرآنيَّةُ ملمحٌ لتنوُّعِ الأعاريبِ، وتلوُّنِ الأساليبِ

قُرِئَ قولُه تعالى: ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بالرَّفع والنَّصب[2]، فقرأ "جمهور السَّبعة (بينُكم) بالرَّفعِ على أنَّه اتَّسع في الظَّرف، وأسند الفعلَ إليه فصارَ اسمًا"[3]، وفي توجيهِ القراءتَين قال الفخرُ الرَّازيُّ: "هذا اللَّفظ إنَّما يستعمل في الشَّيئين اللَّذين بينهما مشاركةٌ ومواصلةٌ من بعض الوجوهِ، كقولهم: بيني وبينه شَركةٌ، وبيني وبينه رحمٌ، فلهذا السَّببِ حَسُنَ استعمالُ هذا اللَّفظ في معنى الوُصْلَةِ، فقوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنُكُمْ﴾ بالرفع، معناهُ لقد تقطَّع وصلكم، أمَّا مَن قرأ: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ بالنَّصب، فَوَجْهُهُ أنَّه أضمرَ الفاعلَ، والتَّقدير: لقد تقطَّع وصلُكم بينكم"[4]، فقراءةُ النَّصب تدلُّ على مكان الاتِّصال، والمعنى في قراءةِ الرَّفع تدلُّ على انفصالِ المكان الَّذي كان محلَّ الاتِّصال، فيكون كنايةً عن انفصال أصحابِ المكانِ الَّذي كان محلَّ اجتماع[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/385.
(2) قرأ نافع وحفص عن عاصم والكسّائي وأبو جعفر ويعقوب ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بالنّصب، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة وعاصم في رواية أبي بكر (بينُكم) بالرّفع، ينظر: ابن مجاهد، السّبعة: 263، وابن الجزريّ، النّشر: 2/260.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/588.
(4) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/70.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/385 - 386.

بلاغةُ العطفِ في قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾:

ارتباطُ الجملتين بالعطفِ زيادةٌ في التَّهكُّم والتَّيئيس

قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾؛ لأنَّه "من تمام التَّهكُّم والتَّأييس"[1]؛ تأكيدًا لانقطاع الصِّلة بينهم[2].

فائدةُ التَّعبيرِ بالضَّلالِ في قوله: ﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾:

ضلالهُم عنهم يؤكِّد انقطاعَ الصِّلة بينهم وبين آلهتِهم في الآخرةِ

عبَّر بفعلِ الضَّلال في قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؛ تأكيدًا لتقطُّع السُّبلِ بهم، وانقطاع الصِّلة بينَهم، "ومعنى ضلَّ: ضدُّ اهتدى، أي: جَهِلَ شفعاؤُكم مكانَكم لمّا تقطَّع بينَكم، فلم يهتدوا إليكم، ليشفعوا لكم"[3].

بلاغةُ الإيجازِ بالحذْفِ في قوله: ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾:

الاكتفاءُ بالمذكورِ سابقًا بغايةِ تطلُّبِ الإيجازِ

جاء الفعلُ (زَعَمَ) بلا مفعولَيْهِ، فَحَذفَهُما، والتَّقدير: تزعمونهم شفعاءَ[4]، وذلك "لدلالةِ نظيرِهِ عليهما في قوله: ﴿زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَآؤُا﴾"[5].

بلاغةُ التَّعبيرِ بـ﴿مَّا﴾ الدَّالِّ على غيرِ العاقلِ في قوله: ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾:

الإعلامُ بانتفاءِ فائدةِ المعبوداتِ منَ الأصنامِ

بعد أن عبَّر عنِ الأصنام باسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾، عبَّرَ عنهم هنا باسمِ الموصول (ما)، الدَّالِّ على غيرِ العاقلِ، فقالَ جلَّ شأنه: ﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؛ "لظهورِ عدمِ جدواه"[6]، ولم يقلْ: (الّذين كنتم تزعمون)؛ لأنَّ المشركين تيقَّنوا عند ذلك أنَّ الأصنام ليست إلَّا حجارةً، لا تضرُّ ولا تنفعُ، فعبَّر عنها بما يليقُ بها، وهو (ما) وليس (الَّذين).

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/386.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2597.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/386.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/589.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/386.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/386.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ (كان) والفعلِ المضارعِ في قوله: ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾:

التَّعبيرُ بفعلِ الكينونَةِ وخبرِهِ المضارعِ للدَّلالَةِ على التَّجدُّدِ والاستمرارِ

عبَّرَ بـ (كان) في قولهِ جلَّ شأنُه: ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، للدَّلالة على التَّجدُّدِ والاستمرارِ؛ لأنَّ التَّعبيرَ بـ (كان) يدلُّ على الاستمرارِ، والمضارعُ يدلُّ على التَّجدُّد، والمعنى: "الَّذي كنتم مستمرِّين عليه مجدِّدين له آنًا بعد آنٍ"[1]، وفيه دلالةٌ على إصرارِهم على ذلك الزَّعمِ.

بلاغةُ الجِناسِ غيرِ التَّام بينَ ﴿زَعَمْتُمْ﴾ و﴿تَزْعُمُونَ﴾:

الجناسُ جمالٌ في التَّعبيرِ، وتأكيدٌ على سوءِ معتقدِ المذكورينَ

بين اللَّفظين: ﴿زَعَمْتُمْ﴾، و﴿تَزْعُمُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَآؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ جِناسٌ ناقصٌ، وهو تجميلٌ للَّفظِ، وتأكيدٌ للمعنى؛ إذ فيه تنبيهُ السَّامعِ على سوءِ معتقدِهم، بتَكرارِ اللَّفظ الدَّالِّ على البُطلانِ.

بلاغةُ التَّصديرِ في الفاصلةِ القرآنيَّةِ ﴿تَزْعُمُونَ﴾:

بناءُ البداياتِ على النِّهاياتِ مبيِّنٌ للمعنى، ومجمِّلٌ للمبنى

في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَآؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ تصدير[2]؛ حيث جعلَ اللَّفظَيْن المكرَّرَيْن في طرفَي العبارةِ، وبلاغةُ هذا التَّصدير أنَّ ما ورد في صدر العبارة هو تمهيدٌ لما سيأتي في الفاصلةِ، فيتعلَّق معناها بمعنى الكلامِ السَّابق كلِّه، على وجهِ التَّمامِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الحسبان والزّعم:

الحسبانُ للباطلِ فحسبُ، والزَّعمُ للباطلِ والحقِّ معًا

"الحسبانُ لا يكونُ إلَّا باطلًا قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: 115]، والزَّعمُ قد يكون حقًّا، وقد يكون باطلًا"[3]، وفي الآية أسندَ إلى الزَّعم المشركين

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2597.

(2) التّصدير: هو ردّ العجز على الصّدر، وهو عبارة عن جعلك أحدَ اللّفظين المتكرّرين في أوّل الفقرة والآخر في آخرها. يُنظر: السّبكيّ، عروس الأفراح: 2/293.

(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 185.

بشأن آلهتهم، وهي باطلةٌ، ولكنَّه عبَّر بالزَّعم؛ لأنَّهم ظنُّوا أنَّهم على حقٍّ، فعبَّر بذلك على حسب ظنِّهم، ومجاراة لهم.

الفرد والواحد:

الفردُ مشتقٌّ من (فرد): وهو توحُّدُ الشَّيءِ بذاتِه، منقطِعًا ومنعزِلًا عمَّا يُشاكِلُه، ولا يختلطُ به غيرُه، فهو أعمُّ من الوِتْرِ وأخصُّ من الواحد، وجمعه: فُرَادَى، وظبيةٌ فاردٌ: انقطعت عن القطيع، أي: لا يتَّصل به شيءٌ من شكله[1]. أمَّا الواحد: فهو أوَّلُ عدد الحساب بُنِي على انقطاعِ النَّظيرِ وعَوَزِ المِثْلِ؛ هُوَ واحدُ قبيلته: إذا لم يكن فيهم مِثْلُه[2].

الـفـردُ يـفـيـدُ الانـفـرادَ عـن قرينِهِ، والواحدُ يفيدُ الانفرادَ في الذَّاتِ أو الصِّفةِ

وقال أبو هلالٍ في الفُروق: "الفردُ: يُفيد الانفرادَ من القِرْنِ، والواحدُ: يفيد الانفرادَ في الذَّات أو الصِّفة، ألا ترى أنَّك تقول: فلانٌ فردٌ في دارِهِ، ولا تقول: واحدٌ في داره، وتقول: هو واحدُ أهلِ عصرِه، تريد أنَّه قد انفردَ بصفةٍ ليس لهم مثلها، وتقول: اللّٰه واحد، تريد أنَّ ذاته منفردةٌ، عن المثل والشَّبهِ"[3]. وفي الآية عبَّر بالفردِ؛ لأنَّه أخصُّ من الواحد، لدلالتِه على ما لايختلِط بغيره، وهو المرادُ في الآيةِ الكريمةِ، فالحسابُ للنَّاس يومَ القيامة يكون فردًا فردًا.

التَّخويل والتَّمليك:

أصلُ التَّخويلِ الإرعاءُ، يقالُ: أَخْوَلَهُ إبِلَهُ؛ إذا استرعاهُ إيَّاها، فَكَثُر حتَّى جعل كلَّ هبةٍ وعطيَّةٍ تخويلًا، كأنَّه جعل له من ذلك ما يرعاه[4]، والمُلك مشتقٌّ من (ملَك) وهو أصلٌ يدلُّ على قوَّةٍ في الشَّيءِ وصحَّةٍ، يقال: أَمْلَكَ عَجِينَهُ: قَوَّى عَجْنَهُ وَشَدَّهُ، وَمَلَّكْتُ الشَّيْءَ: قَوَّيْتُهُ، ثمَّ قيل: مَلَكَ الإنسانُ الشَّيءَ، يملكُه ملكًا؛ لأنَّ يده فيه قويَّة صحيحة،

التَّمليكُ شدَّةُ الملكِ والتَّصرُّف، والتَّخويلُ إنابةٌ في التَّصرُّف

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فرد).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وحد).
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 400.
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 120 - 121.

قال تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ [النّور: 61]، أي: ممَّا اختزنْتُم، وصار في قبضَتِكُم[1]. وعليه فإنَّ التَّمليك يدلُّ على شدَّة الملك والتَّصرُّف، أمَّا التَّخويلُ فهو إنابةٌ في التَّصرُّف، فهو أقلُّ من التَّمليك.

والمراد في الآية: الإنابةُ، وهو أنسبُ للسِّياقِ؛ إذ قد ذكر في سياقِ الموتِ ومفارقةِ ما كان يملك، فلا يناسبه أن يُوصفَ بشدَّة الملك والتَّصرُّف.

التَّقطُّع والتَّمزُّق والتَّفرُّق:

المــرادُ في الآيــةِ التَّقطيعُ بينهم وبـين آلهـتِهم، وليس تمزيقَهم ولا تفريقَهم

التَّفريقُ: جعل الشَّيءَ مفارقًا لغيره[2]، وهو فصلُ بعض الشَّيءِ أو الأشياء من بعضها الآخرِ فصلًا واصلًا إلى العمق[3].

والتَّمزيقُ: مشتقٌّ من (مزق) وهو أصلٌ يدلُّ على تخرُّقٍ في شيءٍ، مَزَقْتُ الثَّوبَ أمزُقُهُ مَزْقًا: خرقْته[4]. التَّمزيقُ: شقُّ الشَّيء شَقًّا واصلًا إلى عمقِه، كالثَّوبِ وقِطَعِ السِّحاب[5].

والتَّقطيعُ: إبانةُ بَعْضِ أَجزاء الجِرْمِ مِنْ بعضٍ فَصْلًا[6]، أو فَصْلُ بعضِ الجِرْمِ الممتدِّ الملتحم الرَّقيقِ عَنْ بعضِه[7].

فالتَّفريق: يدلُّ على مفارقةِ شيءٍ لغيره، والتَّمزيقُ: شقُّ الشَّيء، والتَّقطيع: الفصلُ بين أجزاءِ الجِرْمِ الواحد، وهو المرادُ في الآية، وهو قَطْعُ الصِّلةِ الَّتي بينهم وبين آلهتهم، وليس تمزيقَهم ولا تفريقَهم، بل انتفاءَ الصِّلة بينهم، وهذا ما يعبِّرُ عنه التَّقطيعُ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ملك).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 403.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (فرق).
(4) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (مزق).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مزق).
(6) ابن منظور، اللّسان: (قطع).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قطع).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 11 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-63-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 11 : سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-63-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»